

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق الماء وقوله : { خفا وطمعا } قال قتادة : خفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله { وينشئ السحاب الثقال } أي ويخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض قال مجاهد : السحاب الثقال الذي فيه الماء قال : { ويسبح الرعد بحمده } كقوله : { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال : كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد فمر شيخ من بني غفار فأرسل إليه حميد فلما أقبل قال : يا ابن أخي وسع فيما بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه فقال له حميد : ما الحديث الذي حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له الشيخ : سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : [إن الله ينشد السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك] والمراد - والله أعلم - أن نطقها الرعد وضحكها البرق وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ولا آنس منه منطلقا فضحكه البرق ومنطقه الرعد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فإذا مصع بذنبه فذاك البرق وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال [اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك] ورواه الترمذي والبخاري في كتاب الأدب والنسائي في اليوم واللييلة والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسم به وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه أنه كان إذا سمع الرعد قال : [سبحان من يسبح الرعد بحمده] وروي عن علي بن أبي حمزة أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له وكذا روي عن ابن عباس وطاوس والأسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون ذلك وقال الأوزاعي : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول : إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض رواه مالك في

موطنه والبخاري في كتاب الأدب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن شتير بن نهار عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [قال ربكم D : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد] وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا] وقوله تعالى : { ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء } أي يرسلها نعمة ينتقم بها ممن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان كما قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب حدثنا عمارة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري هـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صعد تلکم الغداة ؟ فيقولون : صعد فلان وفلان وفلان] . وقد روي في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا إسحاق حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال : [اذهب فادعه لي] قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو ؟ قال : فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا فقال لي : [ارجع إليه الثانية] فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك فقال : [ارجع إليه فادعه] فرجع إليه الثالثة قال : فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله سبحانه حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهب بقحف رأسه فأنزل الله D { ويرسل الصواعق } الآية ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر نحوه وقال : حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا أبان بن يزيد حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صهار العبدى أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى جبار يدعوه فقال : أرايتم ربكم أذهب هو ؟ أم فضة هو ؟ أم لؤلؤ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ونزلت هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو ؟ من نحاس هو أم من لؤلؤ أو يا قوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته وأنزل الله { ويرسل الصواعق } الآية .

وقال قتادة : ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله

صاعقة فأهلكته وأنزل ا [{ ويرسل الصواعق } الآية وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول ا صلى ا عليه وسلّم المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول ا [فقال له عامر بن الطفيل - لعنه ا : أما وا [لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له رسول ا [A : [يأبى ا [عليك ذلك وأبناء قيلة [يعني الأنصار ثم إنهما هما بالفتك برسول ا [A فجعل أحدهما يخاطبه والاخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه ا [تعالى منهما وعصمه فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه E فأرسل ا [على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته وأما عامر بن الطفيل فأرسل ا [عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول : يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية حتى ماتا لعنهما ا [وأنزل ا [في مثل ذلك { ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في ا [} وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه : .
أخشى على أربد الحنوف ولا أرهب نوء السماك والأسد .
فجعني الرعد والصواعق بالـ فارس يوم الكريهة النجد .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا مسعدة بن سعيد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد ا [ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن جزء بن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول ا [A فانتهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول ا [A : [لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم] قال عامر بن الطفيل : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ قال رسول ا [A : [ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل] قال : أنا الان في أعنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول ا [A : [لا] فلما قفلا من عنده قال عامر : أما وا [لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال له رسول ا [A : [يمنعك ا [] فلما خرج أربد وعامر قال عامر : يا أربد أنا أشغل عنك محمدا بالحديث فاضربه بالسيف فإن الناس إذا قتلت محمدا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهما الدية قال أربد : أفعل فأقبلا راجعين إليه فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول ا [A فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول ا [A يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت رسول ا [A فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما فلما خرج عامر وأربد من عند رسول ا [A حتى إذا كانا بالحرّة - حرّة راقم - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : اشخما يا عدوي ا [لعنكما ا [فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : هذا أسيد بن حضير الكتائب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل ا [على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالخريم أرسل ا [قرحة فأخذته

فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقة ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية ترغب أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعا فأنزل أ^ا فيهما { أ^ا يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر أ^ا إن أ^ا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد أ^ا بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال } قال : المعقبات من أمر أ^ا يحفظون محمدا A ثم ذكر أريد وما قتله به فقال { ويرسل الصواعق { الآية .

وقوله { وهم يجادلون في أ^ا } أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو { وهو شديد المحال } قال ابن جرير : شديدة مما حلت في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره وهذه الآية شبيهة بقوله : { ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين } وعن علي B { وهو شديد المحال } أي شديد الأخذ وقال مجاهد : شديد القوة